***مناقشة مذهب الأشاعرة***

***بحث فى : بقية الفرق المنتسبه للاسلام***

 ***إعداد / أحمد عبد الحميد مهدى***

***قسم الدعوة وأصول الدين***

***كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية***

***شاه علم - ماليزيا***

***ahmed.mahdey@mediu.ws***

**خلاصة هذا البحث فى : مناقشة مذهب الأشاعرة**

**الكلمات الافتتاحيه : مناقشه، مذهب، الاشاعره**

* **.*المقدمة***

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة مناقشة مذهب الأشاعرة**

* ***.عنوان المقالة***

هذا؛ والأشاعرة قد تطورت بعد الأشعري، وقد رأينا الإمام أبا الحسن الأشعري في مراحله ما بين مرحلة الاعتزال، والمرحلة التي أسس فيها فرقته، وما آل إليه أمره في الأخير حين اعتقد مذهب السلف، وكتب كتابه (الإبانة في أصول الديانة)، والذي نعتقد أنه كتابه، وليس منسوبًا إليه، كما نعتقد أيضًا أنه آخر كتبه التي أظهر بها ما يعتقده، وما يدين لله به.

لكن لنا على مذهب الأشاعرة مناقشة، فنقول حول مذهب الأشاعرة، وفرقة الأشاعرة، فيما عرف باسم الجرح والتعديل عند أهل الحديث:

ننظر في قضية الأفكار والمعتقدات، فنجد أن مصدر التلقي عند الأشاعرة، هو الكتاب والسنة على مقتضى قواعد علم الكلام؛ ولذلك فأنهم يقدمون العقل على النقل عند التعارض، وهذا مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة، صرح بذلك الرازي في القانون الكلي للمذهب في (أساس التقديس)، والآمدي، وابن فورك وغيرهم، وهذا خلاف ما كان عليه أبو الحسن في آخر أمره.

أيضًا عدم الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة؛ لأنها لا تفيد العلم اليقيني، أي: العقيدة لا بد لها من العلم اليقيني، والآحاد لا تفيد العلم اليقيني، ولكن لا مانع من الاحتجاج بها في مسائل السمعيات، أو فيما لا يعارض القانون العقلي، والمتواتر منها يجب تأويله، ولا يخفى مخالفة هذا لما كان عليه السلف الصالح من أصحاب القرون المفضلة، ومن سار على منهجهم؛ حيث كان النبي يرسل الرسل فرادى لتبليغ الإسلام، كما أرسل معاذًا إلى أهل اليمن، وأرسل رسله إلى الملوك والأمراء، وهذا صحابي واحد عند تحول القبلة أخبر قومه، فامتثلوا أمره، ولقول النبي : ((نضر الله امرأ سمع مقالتي، فحفظها ووعاها وأداها كما سمعها)) إلى غير ذلك من الأدلة التي سار عليها السلف الصالح في الأخذ بأحاديث الآحاد، وما حديث ((إنما الأعمال بالنيات)) إلا من هذا القبيل، وقد علمت منزلته وأهميته ومكانته في دين الله تعالى.

هذا؛ ومما هو مأخوذ على هذه الطائفة -مذهب الأشاعرة- أن طائفة منهم تصوفوا وجعلوا التصوف أساس مذهبهم، كالغزالي، والجويني.

في مصدر التلقي: قدموا الكشف والذوق على النص، وتأولوا النص؛ ليوافق ما هم عليه، وسموا هذا بالعلم اللدني، جريًا على قاعدة الصوفية: "حدثني قلبي عن ربي"، كما وضح ذلك في (الرسالة اللدنية)، المجلد الأول من مجموعة (القصور العوالي)، و(كبرى اليقينيات) لمحمد سعيد رمضان البوطي في الإهداء، ولا يخفى ما في هذا من البطلان والمخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، وإلا ما الفائدة من إرسال الرسل وإنزال الكتب؟.

ويقسم الأشاعرة أصول العقيدة بحسب مصدر التلقي، إلى ثلاثة أقسام: قسم مصدره العقل وحده، وهو معظم الأبواب، ومنه باب الصفات؛ ولهذا يسمون الصفات التي تثبت بالعقل صفات عقلية، وهذا القسم يحكم العقل بوجوبه دون توقف على الوحي عندهم، أما ما عدا ذلك من صفات خبرية دل عليها الكتاب والسنة، فإنهم يؤولونها، وقسم مصدره العقل والنقل معًا، كالرؤية على خلافٍ بينهم فيها، وقسم مصدره النقل وحده، وهو السمعيات ذات الغيبيات من أمور الآخرة، كعذاب القبر والصراط والميزان، وهو مما لا يحكم العقل باستحالته.

فالحاصل أنهم في صفات الله جعلوا العقل حاكمًا، وفي إثبات الآخرة جعلوا العقل عاطلًا، وفي الرؤية جعلوه مساويًا.

أما في مذهب أهل السنة والجماعة، فلا منافاة بين العقل والنقل أصلًا، ولا تقديم للعقل في جانب، وإهماله في جانب آخر، وإنما يبدأ بتقديم النقل على العقل.

هذا؛ وقد خالف الأشاعرة مذهب السلف في إثبات وجود الله تعالى، ووافقوا الفلاسفة والمتكلمين في الاستدلال على وجود الله تعالى بقولهم: "إن الكون حادث، ولا بد له من محدث قديم، وأخص صفات القديم مخالفته للحوادث، وعدم حلوله فيها، ومن مخالفته للحوادث إثبات أنه ليس بجوهر ولا جسم، ولا في جهة، ولا في مكان، وقد رتبوا على ذلك من الأصول الفاسدة، ما لا يدخل تحت حصر، مثل إنكارهم صفات الرضا والغضب والاستواء، بشبهة نفي حلول الحوادث في القديم، من أجل الرد على القائلين بقدم العالم، بينما طريقة السلف هي طريقة القرآن الكريم في الاستدلال على وجود الخالق ".

وأما التوحيد عند الأشاعرة: فهو نفي التثنية، والتعدد بالذات، ونفي التبعيض والتركيب والتجزئة، أي: نفي الكمية المتصلة والمنفصلة، وفي ذلك يقولون: "إن الله واحد في ذاته لا قسيم له، واحد في صفاته لا شبيه له، واحد في أفعاله لا شريك له؛ ولذلك فسروا الإله بأنه الخالق أو القادر على الاختراع، وأنكروا صفات الوجه و اليدين والعين؛ لأنها تدل على التركيب والأجزاء عندهم، وفي هذا مخالفة كبيرة لمفهوم التوحيد عند أهل السنة والجماعة من سلف الأمة، ومن تبعهم، والذين يثبتون لله ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسوله وينفون عنه ما نفاه الله عن نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله .

وبذلك جعل الأشاعرة التوحيد هو إثبات ربوبية الله دون ألوهيته، وتأويل بعض صفاته، وهكذا خالف الأشاعرة أهل السنة والجماعة في معنى التوحيد؛ حيث يعتقد أهل السنة والجماعة أن التوحيد الذي هو أول واجب على العبيد إفراد الله تعالى بربوبيته، وألوهيته وأسمائه وصفاته، على نحو ما أثبته تعالى لنفسه أو أثبته له رسوله ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله من غير تحريف أو تعطيل أو تكييف أو تمثيل.

هذا، وإن أول واجب عند الأشاعرة إذا بلغ الإنسان سن التكليف هو النظر، أو القصد إلى النظر، ثم الإيمان، ولا تكفي المعرفة الفطرية، ثم اختلفوا فيمن آمن بغير ذلك بين تعصيته وتكفيره، بينما يعتقد أهل السنة والجماعة أن أول واجب على المكلفين هو عبادة الله وحده لا شريك له، وتوحيد الألوهية بدليل الكتاب والسنة والإجماع، وأن معرفة الله تعالى أمر فطري مركوز في النفوس.

ويعتقد الأشاعرة تأويل الصفات الخبرية، كالوجه، واليدين، والعين، واليمين، والقدم، والأصابع وكذلك صفتي العلو والاستواء، وقد ذهب المتأخرون منهم إلى تفويض معانيها إلى الله تعالى، على أن ذلك واجب يقتضيه التنزيه، ولم يقتصروا على تأويل آيات الصفات بل توسعوا في باب التأويل، حيث شمل أكثر نصوص الإيمان، خاصة فيما يتعلق بإثبات الزيادة والنقصان، وكذلك موضوع عصمة الأنبياء، أما مذهب السلف فإنهم يثبتون النصوص الشرعية دون تأويل معنى النص، بمعنى: تحريفه أو تفويضه، سواء أكان في نصوص الصفات أو غيرها.

فاختلفت الأشاعرة عن السلف في مسألة الصفات، بأن الأشاعرة يتأولون خشية التجسيم والتشبيه، وتأويل الأشاعرة يقصد به تنزيه الله تعالى، لكنهم ارتضوا في منهج التأويل لله ما لم يرتضه لنفسه أو يرتضه له رسوله والله -جل وعلا- أعلم بنفسه من خلقه، ورسول الله أعلم الناس بربه، فكيف لا نرضى ما قاله الله عن نفسه، وما أخبر به عنه رسوله ثم نقول بالتأويل حتى لا نقع في التشبيه أو التجسيم؟ ولم الوقوع في التشبيه والتجسيم، وقد علمنا سلفًا أن الله ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، كما قال تعالى: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ} [الإخلاص:1- 4].

معتقدات الأشاعرة:

الأشاعرة في قضية الإيمان، بين المرجئة التي تقول: "يكفي النطق بالشهادتين دون العمل لصحة الإيمان"، وبين الجهمية التي تقول: "يكفي التصديق القلبي"، ورجح الشيخ حسن أيوب من المعاصرين في كتابه (تبسيط العقائد الإسلامية): أن المصدق بقلبه ناج عند الله، وإن لم ينطق بالشهادتين، ومال إليه البوطي، في كتابه (كبرى اليقينيات).

وفي هذه مخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة -الذين يقولون: إن الإيمان قول، وعمل، واعتقاد- ومخالفة لنصوص القرآن الكريم الكثيرة، ومنها: {ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ} [الجاثية: 21]، وعليه يكون إبليس من الناجين من النار؛ لأنه من المصدقين بقلوبهم، وكذلك أبو طالب عم النبي ولم يكن هناك داعٍ لحرص النبي على قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله، وغير ذلك من الأدلة كثير.

هذا؛ والأشاعرة مضطربون في قضية التكفير: فتارة يقولون :لا نكفر أحدًا، وتارة يقولون: لا نكفر إلا من كفرَنا، وتارة يقولون بأمور توجب التفسيق والتبديع، أو بأمور لا توجب التفسيق والتبديع، فمثلًا يكفرون من يثبت علو الله الذاتي، أو من يأخذ بظواهر النصوص؛ حيث يقولون أن الأخذ بظواهر النصوص من أصول الكفر، وهذه من الأمور الخطيرة في مذهب الأشاعرة، أما أهل السنة والجماعة، فيرون أن التكفير حق لله تعالى، لا يطلق إلا على من يستحقه شرعًا، ولا تردد في إطلاقه على من ثبت كفره بإثبات شروط وانتفاء موانع.

قولهم بأن القرآن ليس كلام الله على الحقيقة، ولكنه كلام الله النفسي، وأن الكتب التي بما فيها القرآن مخلوقة، يقول صاحب (الجوهرة): "يمتنع أن يقال إن القرآن مخلوق إلا في مقام التعليم؛ وذلك في محاولة لم يحالفها النجاح للتوفيق بين أهل السنة والجماعة والمعتزلة، أما مذهب أهل السنة والجماعة: فهو أن القرآن كلام غير مخلوق، وأنه تعالى يتكلم بكلام مسموع تسمعه الملائكة، وسمعه جبريل، وسمعه موسى # وتسمعه الخلائق يوم القيامة، قال تعالى: {ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ} [التوبة: 6].

ومن معتقدات الأشاعرة، أن الإيمان والطاعة بتوفيق الله، وأن الكفر والمعصية بخذلانه، والتوفيق عند الأشعري خلق القدرة على الطاعة، والخذلان عنده خلق القدرة على المعصية، وعند بعض أصحاب الأشعري تيسير أسباب الخير هو التوفيق، وضده الخذلان.

ومن معتقداتهم: كل موجود يصح أن يُرى، والله تعالى موجود يصح أن يرى، وقد ورد في القرآن الكريم، أن المؤمنين يرونه في الآخرة، كما قال تعالى: {ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ} [القيامة:22، 23]، ولكن الأشاعرة يرون أنه لا يجوز أن تتعلق به الرؤية على جهة، ومكان، وصورة، ومقابلة، واتصال شعاع، فإن كل ذلك مستحيل، وفي ذلك نفي العلو لله تعالى والجهة، بل ونفي للرؤية نفسها ،ويقترب الرازي كثيرًا من قول المعتزلة في تفسيره للرؤية بأنه مزيد من الانكشاف العلمي.

حصر الأشاعرة دلائل النبوة بالمعجزات التي هي الخوارق موافقين للمعتزلة، وان اختلفوا معهم في كيفيه دلالاتها على صدق النبي، بينما يرى جمهور أهل السنة أن دلائل ثبوت النبوة للأنبياء كثيرة، ومنها المعجزات.

من معتقدات الأشاعرة: أن صاحب الكبيرة إذا خرج من الدنيا بغير توبة حكمه لله تعالى، إما أن يغفر له برحمته، وإما أن يشفع فيه النبي موافقين في ذلك لمذهب أهل السنة والجماعة.

ويعتقد الأشاعرة، أن قدرة العبد لا تأثير لها في حدوث مقدورها، ولا في صفة من صفاته، وأن الله تعالى أجرى العادة بخلق مقدورها مقارنًا لها، فيكون الفعل خلقًا من الله، وكسبًا من العبد؛ لوقوعه مقارنًا لقدرته، ولقد عد المحققون الكسب هذا من مجالات الكلام، وضربوا له المثل في الخفاء والغموض، فقالوا: أخفى من كسب الأشعري، وقد خرج إمام الحرمين -وهو من تلاميذ الأشعري- عن هذا الرأي، وقال بقول أهل السنة والجماعة، بل والأشعري نفسه في كتابه (الإبانة)، رجع عن هذا الرأي.

قالوا بنفي الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى مطلقًا، ولكنهم قالوا: إن الله يجعل لكل نبي معجزة؛ لأجل إثبات صدق النبي، فتناقضوا في ذلك بين ما يسمونه نفي الحكمة والغرض، وبين إثبات الله للرسول المعجزة؛ تفريقًا بينه وبين المتنبئ.

هذا؛ وقد وافق الأشاعرة أهل السنة والجماعة في الإيمان بأحوال البرزخ، وأمور الآخرة من الحشر، والنشر، والميزان، والصراط، والشفاعة، والجنة والنار؛ لأنها من الأمور الممكنة التي أخبر بها الصادق وأيدتها نصوص الكتاب والسنة، وبذلك جعلوها من النصوص السمعية.

كما وافقوهم في القول في الصحابة على ترتيب خلافتهم، وأن ما وقع بينهم كان خطئًا، وعن اجتهاد منهم؛ ولذا يجب الكف عن الطعن فيهم؛ لأن الطعن فيهم إما كفر، أو بدعة، أو فسق، كما يرون الخلافة في قريش، وتجوز الصلاة خلف كل بر وفاجر، ولا يجوز الخروج على أئمة الجور، بالإضافة إلى موافقة أهل السنة في أمور العبادات والمعاملات.

فضلًا عن تصدي الإمام الأشعري للمعتزلة، ومحاجتهم بنفس أسلوبهم الكلامي؛ ليقطع شبهاتهم ويرد حجتهم عليهم، تصدى أيضًا للرد على الفلاسفة، والقرامطة، والباطنية، والروافض وغيرهم من أهل الأهواء الفاسدة والنحل الباطلة.

والأشعري في كتابه (الإبانة عن أصول الديانة)، رجع عن كثير من آرائه الكلامية إلى طريق السلف في الإثبات، وعدم التأويل، يقول -رحمه الله: "وقولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا وبسنة نبينا وما روي عن الصحابة والتابعين، وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل -نضَّر الله وجه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته- قائلون، ولمن خالفوا قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق، ودفع به ضلال الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدام، وجليل معظم، وكبير مفخم.

إن مدرسة الأشعري الفكرية، لا تزال مهيمنة على الحياة الدينية في العالم الإسلامي، ولكنها -كما يقول الشيخ أبو الحسن الندوي-: "فقدت حيويتها، ونشاطها الفكري، وضعف إنتاجها في الزمن الأخير ضعفًا شديدًا، وبدت فيها آثار الهرم والإعياء، لماذا؟ لأن التقليد طغى على تلاميذ هذه المدرسة، وأصبح علم الكلام لديهم علمًا متناقلًا دون تجديد في الأسلوب، ولإدخال مصطلحات الفلسفة، وأسلوبها في الاستدلال في علم الكلام، فكان لهذا أثر سيئ في الفكر الإسلامي؛ لأن هذا الأسلوب لا يفيد العلم القطعي؛ ولهذا لم يتمثل الأشاعرة بعد ذلك مذهب أهل السنة والجماعة، ومسلك السلف تمثلًا صحيحًا؛ لتأثرهم بالفلاسفة، وإن هم أنكروا ذلك، حتى الغزالي نفسه الذي حارب الفلاسفة في كتابه (تهافت الفلاسفة)، يقول عنه تلميذه القاضي ابن العربي: "شيخنا أبو حامد دخل في بطون الفلاسفة، ثم أراد أن يخرج منهم فما قدر".

وقد تصدى الإمام ابن تيمية لجميع المذاهب الإسلامية، التي اعتقد أنها انحرفت عن الكتاب والسنة، ومنهم الأشاعرة، وخاصة المتأخرين منهم في كتابه القيم (درء تعارض العقل والنقل)، وفند آراءهم الكلامية، وبين أخطاءهم، وأكد أن أسلوب القرآن والسنة هو الأسلوب اليقيني للوصول إلى حقيقة التوحيد والصفات، وغير ذلك من أمور العقيدة.

**المراجع والمصادر:**

1. **أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، 1389هـ**
2. **عواد بن عبد الله المعتق، المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها ، الرياض، مكتبة الرشد، 1417هـ**
3. **الدكتور صابر بن عبد الرحمن طعيمة، دراسات في الفرق ، الرياض، مكتبة المعارف، 1408هـ**
4. **عبد القاهر بن طاهر البغدادي، الفَرْق بين الفِرَق ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، المعرفة للطباعة والنشر، 1976م**
5. **محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1395هـ**
6. **علي سامي النشار، نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام ،القاهرة، دار المعارف، 1981م**
7. **عبد الرحمن عميرة، المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منه ، بيروت، دار الجيل، 1405 هـ**
8. **مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب ، الدار المصرية اللبنانية، 2004م**
9. **إحسان إلهي ظهير، القاديانية دراسات وتحليل ، الرياض، طبع ونشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، 1404هـ**
10. **أحمد محمود صبحي، في علم الكلام: دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين ، مؤسسة الثقافة الجماعية، 1982م**
11. **عبد القادر بن حبيب الله السندي، التصوف في ميزان البحث والتحقيق ، المدينة المنورة، مكتبة ابن القيم، 1410هـ**
12. **محمد عبد الهادي المصري، أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى ، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1409هـ**
13. **الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إشراف ومراجعة: مانع الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، 1418هـ**